

فرحان العنزي

والسابقون السابقون

لفضيلة الشيخ الدكتور

عزیز بن فرحان العنزي

-حفظه الله-

والسابقون السابقون

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

أما بعد:

فاتقوا الله يا عباد الله، واعلموا أن تقوى الله ﷻ نجاتكم يوم يُنصب الصراط، يقول الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

والله ﷻ يقول: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

عباد الله! حينما يُبعث الناس يوم القيامة يتفرقون إلى فرقتين:

- أصحاب اليمين.
- وأصحاب الشمال.

جعلنا الله وإياكم من أصحاب اليمين، وأعادنا وإياكم أن نكون من أصحاب الشمال.

ولذلك يقول ﷺ: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۗ ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ٧-١٢].

نعم عباد الله، أصحاب اليمين في جنات النعيم، وأصحاب الشمال في العذاب المقيم، وأصحاب اليمين على ضربين:

- ضربٌ - وهم الأكثرون - من أهل الجنة الذين يأخذون كتابهم بأيمانهم، ويسألون يوم القيامة، ويُشَدَّد عليهم في السؤال.

- وهناك ضربٌ وهم السابقون الأولون، السابقون إلى الخيرات، المتقربون إلى الله ﷻ بكل ما أحب وشرع، سبحانه وتعالى وعز.

ولذلك المؤمن مطالبٌ بأن يسعى إلى أن يكون مع السابقين، من الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين، الله ﷻ يقول: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

فالمؤمن مطالبٌ بأن تكون له همّةٌ عالية، لا تنتهي عند حد، بل يسعى أن يكون مع الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

ولذلك ربنا ﷻ أمرنا بالمسارعة إلى الخيرات، وبالمسابقة إلى الصالحات، يقول ﷻ: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

ويقول ﷻ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

ويقول ﷺ: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿[الحديد: ٢١].

والنبي ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ بَأْنِ الْجَنَّةِ دَرَجَاتٍ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُسْأَلَ اللَّهُ ﷻ الْفَرْدُوسَ الْأَعْلَى، فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ (١)، وَهُوَ مُسْتَقَرُّ نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَا بَدَّ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ تَكُونَ لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ، تُزَاحِمُ النُّجُومَ فِي عُلْيَاهَا، مِنْ حَيْثُ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ ﷻ بِالْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ، وَالتَّرَقِّي فِي مَدَارِجِ الْكَمَالِ.

ولذلك ربنا ﷻ ذكر الذين أنزل عليهم هذا القرآن، أحوالهم يوم القيامة بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٢٢].

نعم عباد الله، يتفاوت الناس يوم القيامة في الجنة، على قدر تفاوتهم في الأعمال، وعلى قدر نشاطهم وكسلهم، فيا عباد الله هذه الدنيا جعلها الله ﷻ مزرعةً للآخرة، وأنزلكم إليها لتعبدوه ولتتقوه.

يقول ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) ﴿[الذاريات: ٥٦-٥٨].

وأهل الإيمان من أهل الجنة يقولون يوم القيامة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤].

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فهذا ميدان السباق، وهذه مزرعة الدنيا، تحصدون نتاجها يوم القيامة، فمن زرع خيراً لقي خيراً، ومن زرع شراً فلا يُجنى من الشوك العنب.

عباد الله! سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة، سارعوا في هذه الميدان الطويل، الذي نهايته جنة عالية.

عباد الله! هذه هي الدنيا، فتسابقوا فيها إلى ما يرضي الله، وترقوا في مدارج الكمال من هذه العبادات، ومن هذه الطاعات، وانظروا إلى أحوال أصحاب محمد **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**، كانوا - **رضي عنهم** - وأرضاهم - يسارعون في الخيرات، ويسابقون في الصالحات، ويدعون ربهم رغبا ورهبا، وكانوا لربهم خاشعين - **رضي عنهم** - وأرضاهم.

فهذا عمر بن الخطاب **رضي عنه** قال: "نادى النبي **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** بالصدقة، فوافى عندي ذلك مالا طيبا كان حبيبا إلى قلب عمر بن الخطاب **رضي عنه** فقال له سابقا أبا بكر إن سبقته يوما، فجاء بنصف ماله **رضي عنه** فسأله النبي **صلى الله عليه وعلى آله وسلم**: «ما أبقيت لأهلك يا عمر؟» قال: "مثله" يعني جاء بالنصف، ثم جاء أبي بكر - **رضي عنه** - وأرضاه - بالمال كله، فقال له النبي **صلى الله عليه وسلم**: «ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر؟» قال: "أبقيت لهم الله ورَسُولُهُ" فقال عمر: "والله لا أسابقه أبدا" (٢).

فهذا هو السباق إلى الصالحات، والمعالي، والطيبات، أبو بكر الصديق - **رضي عنه** - وأرضاه -.

ولما حث النبي **عليه الصلاة والسلام** على وقف المال، قال جابر بن عبد الله **رضي عنه**: "ما بقي أحد من أصحاب النبي **صلى الله عليه وسلم** ذو مقدرة إلا وأوقف ماله؛ لأن الله

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)، والدارمي (١٧٠١)، وأحمد في "فضائل الصحابة" (٥٢٧)، عن ابن عمر عن عمر **رضي عنه**، وحسنه الألباني في "مشكاة المصابيح" (٣/١٦٩٩).

ﷺ يقول: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

فلما نزلت هذه الآية حركت وجدانهم، وهزت أركانهم، وجعلتهم يبحثون عن رضا الله ﷻ، فجاء أبو طلحة الأنصاري إلى النبي ﷺ يقول: "يا رسول الله، إِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءٍ، وَإِنِّي جَعَلْتُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ" أَوْقَفَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ؛ مَسَابِقَةً فِي الْخَيْرَاتِ، وَمَسَارَعَةً فِي الصَّالِحَاتِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «اجْعَلْهَا فِي الْأَقْرَبِينَ» (٣).

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصاب أسهماً في خير، فلما نزلت هذه الآية وحث النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْوَقْفِ، جَاءَ وَأَوْقَفَ أَسْهَمَهُ فِي خَيْرٍ، وَجَعَلَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤).

وحينما وقف النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْمَنْبَرِ، قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ» (٥).

فقام المحسن الكبير، وقام العملاق العظيم، من عملاقة الصدقة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، وجهاز جيش العسرة بأكمله.

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ» (٦).

فتصدى لذلك عثمان رضي الله عنه حتى إن النبي ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أمام هذا المشهد من العطاء، وأمام هذا الخير المتدفق من الإنفاق، ينزل عن المنبر، ويقول بيده هكذا، «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ» (٧)، رضي الله عنهم وأرضاهم.

(٣) أخرجه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٧٢)، ومسلم (١٦٣٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه البخاري (٢٧٧٨).

(٦) المصدر السابق.

(٧) أخرجه الترمذي (٣٧٠١)، وأحمد (٢٠٦٣٠)، والحاكم في "المستدرک" (٤٥٥٣)، من

حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في "المشكاة" (٣/ ١٧١٣).

نعم عباد الله، كانوا يسارعون إلى الخيرات، ويسابقون إلى الصالحات، ويترقون في مدارج الكمال؛ لرضا رب الأرض والسموات.

فكونوا يا عباد الله على ما كانوا..

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكِرام فلاح^(٨)

ولذلك يقول الحسن البصري **رَحْمَةُ اللَّهِ**: "مَنْ سَابَقَكَ فِي دِينِكَ، فَسَابَقَهُ، وَمَنْ سَابَقَكَ فِي دُنْيَاكَ، فَارْمَهَا فِي نَحْرِهِ".

وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قبل ذلك يقول: «لَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ - يعني في أمور الدنيا - وانظروا إلى مَنْ هُوَ دُونَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ»^(٩).

أما في جانب الدين والطاعات، فسابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض.

ولذلك عباد الله، النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ - يعني الأذان - وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَهْمُوا»^(١٠)، بمعنى: أن النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: لو يعلم الناس ما في الأذان، وما فيه من الأجر لتسابقوا إليه، ولو لم يجدوا إلا أن يقترعوا، وذلك للحصول على هذه العبادة الجليلة، وكذلك الصف الأول من المسجد المسابقة إليه فيه فضلٌ عظيم وثوابٌ كبيرة^(١١).

(٨) من أشعار أبو الفتوح السهروردي، ينظر: "الوافي بالوفيات" (٢ / ٢٣٨).

(٩) أخرجه مسلم (٢٩٦٣)، والترمذي (٢٥١٣)، وابن ماجه (٤١٤٢)، وأحمد (٧٤٤٩)، وابن حبان (٧٠٨) من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(١٠) أخرجه البخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧) من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(١١) ينظر: شرح "صحيح البخاري" لابن بطال (٢ / ٢٤٤)، و"فتح الباري" لابن رجب (٥ / ٢٨٦).

نعم عباد الله، هكذا ينبغي للمسلم أن يسابق إلى الخيرات، وأن يسابق لفعل الصالحات، وكان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزرع هذا الخلق في أصحابه زرعاً، وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يريهم على معالي الأمور، فمرة كان في سفر، فقال: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ» (١٢).

نعم عباد الله، كان يريهم على ذكر الله، وقطع مسافات السفر في طاعة الله ﷺ، لا كحالتنا - نسأل الله العفو والعافية - نُقَطِّعُ أَوْقَاتَنَا، وندمر زماننا فيما لا طائل تحته، بل في أمور قد يكون ضررها أقرب من نفعها، والله ﷻ يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

ويقول ﷺ: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فاسعوا يا عباد الله إلى ما فيه نجاتكم يوم القيامة، وسابقوا في هذا الميدان الطويل، الذي نهايته الجنة، ولا يقنعن امرؤ باليسير من العبادة، بل ينبغي للمسلم أن تكون له هممة عالية، تُناطح النجوم والكواكب في عليائها، همة في كل باب من أبواب الخير، يلقي ذلك عند الله ﷻ أجراً وثواباً ونجاةً.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ وخطيئة، ويا فوز المستغفرين، أستغفر الله.

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن والاه.

(١٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٦)، والترمذي (٣٥٩٦)، وأحمد (٩٣٣٢)، من حديث أبي هريرة

الخطبة الثانية

أما بعد:

فاتقوا الله يا عباد الله، واعلموا أن المسابقة في أبواب الخيرات فيها فوائد كثيرة، وعوائد أثيرة، وبركاتٌ متعددة، وخيراتٌ لا حدَّ لها، ولذلك ينبغي للمؤمن أن يستظل بهذا الظلال، وأن يسابق في هذا الميدان، ولتعلموا أن الله ﷻ قد يفتح لبعض العباد أبوابًا من أبواب الخير، فعليه أن يلزمه، وأن يستمسك به، وأن يعصَّ عليه بالنواجذ؛ ذلك أن الله ﷻ أراد له الخير.

ومن ترك هذا الباب من أبواب الخير، فقد يكون ممن كفر نعمةً أنعم الله ﷻ عليه بها، فمن الله من يفتح الله ﷻ في قيام الليل، يفتح له بابًا من أبواب قيام الليل، فعليه أن يلزم هذا الباب، وأن يجاهد نفسه مجاهدة عظيمة بالاستمسك بهذا الباب؛ فإن قيام الليل دأب الصالحين، وطريقة أولياء الله ﷻ والمؤمنين.

ومن الناس من يفتح الله ﷻ عليه بباب الصيام.

نعم عباد الله، يصوم الاثنين والخميس، والأيام الثلاثة البيض، وغيرها من الأيام، فليستمسك بهذا الباب، وليعصَّ عليه بالنواجذ؛ فإنه بابٌ يستروح من خلاله روائح الجنة، بإذن الله سبحانه، ولا يقعدن به الكسل عن الاستمرار في هذا الباب.

ومن الناس من يفتح الله ﷻ له باب قراءة القرآن، فيختم ما بين وقت وآخر، فإنها نعمةٌ من أعظم نعم الله ﷻ، فالقرآن نهرٌ متدفق بالخيرات وبالآجور، وبالثواب العظيم، الحرف فيه بحسنة، والحسنة بعشر أمثالها، فعليه أن يستمسك بهذا الباب، ولا يلهوَّ عنه.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَفْتَحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بَابَ الصَّدَقَةِ، الَّتِي فِي انْتِصَارٍ عَلَى
النَّفْسِ الْأَمَارَةِ بِالسُّوءِ، وَإِخْزَاءٍ لِلشَّيْطَانِ الَّذِي يَعِدُّ النَّاسَ بِالْفَقْرِ، وَيَأْمُرُهُمْ
بِالْفَحْشَاءِ، وَاللَّهُ يَعْدُهُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ فَضْلًا.

فَمَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بَابَ الصَّدَقَةِ، فَلَا يَلْهَوْنَ عَنْهُ، وَلَا يَقْعُدْنَ بِهِ الْكَسْلُ
عَنْهُ، وَلَا يَظُنُّنَّ بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءِ؛ لِأَنَّ مِنَ النَّاسِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - مَنْ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ،
فَيَقْذِفُ فِي قَلْبِهِ خَوْفَ الْفَقْرِ أَوْ الْمُسْتَقْبَلِ.

وَأَصْحَابُ الصَّدَقَاتِ مِنْ أَشْرَحِ النَّاسِ صُدْرًا، وَأَلْيَنِهِمْ عَرِيكَةً، حِينَمَا أَظْهَرُوا
إِيمَانَهُمْ بِهَذِهِ الصَّدَقَةِ، الَّتِي لَا يَخْرُجُهَا إِلَّا مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَفْتَحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بَابَ تَعْلِيمِ النَّاسِ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ،
وإِرْشَادِهِمْ إِلَى مَا فِيهِ تَصْحِيحُ دِينِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ وَإِيمَانَهُمْ، وَإِلَى إِقَامَةِ الْأَحْكَامِ
الشَّرْعِيَّةِ عَلَى مَرَادِ اللَّهِ وَمَرَادِ رَسُولِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَهَذَا بَابٌ عَظِيمٌ، فَلَيْسْتَ تَمْسُكُنَّ بِهِ، وَلَا يَقْعُدْنَ بِهِ الْكَسْلُ، وَلَا الْفَتُورُ، وَلَا
الْإِحْبَاطُ، مِنْ قِلَّةِ الَّذِينَ يَتَعَلَّمُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ لَهُ بَابَ خَيْرٍ يَتَرَوَّحُ مِنْهُ رَوَائِحُ الْجَنَّةِ،
وَيَسْتَنْشِقُ عِبِيرَهَا.

نعم عباد الله، النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ
وَعَلَّمَهُ» (١٣).

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ الذِّكْرِ لِلَّهِ ﷻ، فَهُوَ مُرْتَبٌ لِسَانَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ
جَلًّا وَعَلَا، قَائِمًا وَقَاعِدًا وَعَلَى جَنْبٍ، وَفِي حَالِ الْخُلُوعِ، وَفِي حَالِ الْجُلُوعِ، وَفِي
حَالِ السَّرِّ وَالْعَلَانِيَّةِ، فَعَلِيهِ أَنْ يَسْتَمْسِكَ بِهَذَا الْبَابِ.

وَمِنَ النَّاسِ مَن فَتَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَابًا عَظِيمًا، أَلَا هُوَ (بَابُ الشَّفَاعَةِ) يَقِفُ مَعَ
النَّاسِ، فَيَشْفَعُ لَهُمْ، يَشْفَعُ لَهُمْ فِي جَمِيعِ قَضَايَاهُمْ، فِي جَمِيعِ قَضَايَا الزَّوْجِ، وَفِي

قضايا القرض، وفي قضايا الدراسة، وفي قضايا التجارة، وفي قضايا كثيرة بتعرض لها الناس، فالله ﷻ يقول: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

والنبي ﷺ عليه الصلاة والسلام يقول: «اشْفَعُوا تُوجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ» (١٤).

فلا يغلقن رجلٌ فتح الله عز وجل عليه زكاة جاهه؛ لأن للجاه زكاةً، ألا وهي الشفاعة، لا يغلقن هذا الباب؛ فإنه بابٌ عظيم، يسابق به في الخيرات، وفي الصالحات.

ومن الناس من يسر الله له عمل الإغاثة، يعين الناس ويساعد البشر، ويقف مع المعوزين والمحتاجين، ويدل أصحاب الخير إليهم، فإنه وربي بابٌ عظيمٌ من أبواب الخير، بابٌ يتنسم منه روائح الجنة بحول الله تعالى وقدرته.

والأبواب يا أمة محمد ﷺ كثيرة، ولا يمكن حصرها في مثل هذا المقام، والإشارة تُغني عن كثيرٍ من صريح العبارة، ولذلك ما منا أحدٌ إلا وقد فتح الله عز وجل عليه بابًا، فاستمسكوا بهذه الأبواب، والسعيد كل السعادة من جمع هذه الأبواب كلها، أو بعضها، فإنه والله يُغبط على ذلك، فالله ﷻ أراد له الخير.

فسابقوا يا عباد الله، سابقوا وسارعوا وتنافسوا في الخيرات، ودعوا التنافس في هذه الدنيا، واحظوا يا عباد الله عوائد المنافسة في الخيرات والطاعات، كيف أنها أثرية، وطيبة على القلب، والروح، والبدن، وعلى الأهل، وفي واقع الناس أيضًا، فإنها تخلق جوًّا من الطمأنينة والراحة والأريحية.

بينما التنافس في أمور الدنيا يقدر زناد الشر بين الناس كثيرًا، وغالبًا من التنافس المذموم، ومن الحسد، والحقد، والكراهية، والغيبة، والنميمة، وسوء

(١٤) أخرجه البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (٢٦٢٧) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

الظن، بل هي مستودعٌ من مستودع السيئات، تجمع الخطايا، ولذلك نافسوا فيما يقربكم إلى الله ﷻ.

وأما الدنيا، فاسمعوا إلى ربكم ﷻ حيث قال: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

ولتعلم أنه لن يأتيك من الدنيا إلا ما قُدر لك، لن يأتيك من الدنيا مهما عمِلت، ومهما سعيت إلا ما قُدر لك، وهذا لا يعني ترك بذل الأسباب، وإنما يعني ترك التنافس المذموم، الذي يؤول إلى الحسد، وإلى الحقد والكراهية، وإلى الإخلاق إلى الأرض، والطمأنينة إليها، وهي دار زوال، ودار انتقال، ومحل نُجعة، ودار نُقلة، والثاوي فيها راحل، وأيامها مراحل، وفي كل يومٍ لنا في هذه الدنيا عبرة.

وهل أنا إلا مثلهم غير أن لي بقايا ليالٍ في الزمان أعيشها^(١٥).

اللهم صلِّ على محمدٍ في الأولين، وصلِّ على محمدٍ في الآخرين، وصلِّ على محمدٍ ما دامت السماوات والأرضين، وارض اللهم عن آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، لا سيما الأربعة الخلفاء، الأئمة الحنفاء، أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الصحابة أجمعين، وعن التابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بجلودك وكرمك وفضلك وإحسانك يا رب العالمين.

فرحان

الدكتور عزيز فرحان الحلبي العنزي
Aziz Farhan AlHeblani AlEnezi

(١٥) من شعر القاضي ابن أبي عصرون، ينظر: "طبقات الشافعية" للسبكي (٧/ ١٣٥).